

مصراتة في رحلة العياشي (ماء الموائد) (1074-1072هـ / 1663-1661م)

د. فتحية محمد الوداني
كلية الآداب/ جامعة مصراتة

بها فضلاء ما الفضيل يفوقهم
فوارس أنجاد وهم من حماتها
قد اختارها الزروق دارًا وموطنًا
كذا ابن سعيد مقتد بهدائها

أحمد نائب الأنصاري

ليس من شك أن فريضة الحج في الإسلام كانت من أعظم البواعث على سفر آلاف من المغاربة في كل عام إلى الحجاز للقيام بهذه الفريضة، وبعد زيارة الحرمين الشريفين كان كثير منهم يقصدون المقامات المباركة بالمشرق كالمسجد الأقصى بالقدس، وقبر إبراهيم الخليل في حبرون، ثم يعرجون على دمشق ومدائن أخرى من الشام، وطالما زاروا بغداد عاصمة العباسيين بالعراق، وفي رجوعهم يقفون برهة بمصر حيث جامع عمرو بالفسطاط، والجامع الأزهر وجلق تعليمه، والمشهد الحسيني، ومقام الشافعي، ثم يقطعون مفازة برقة إلى طرابلس - إن كان السفر في البر - ثم إلى تونس، ومنها ينتهون إلى قرارهم الأصلي بالمغرب الأوسط أو الأقصى أو بالأندلس، وهي نهاية العالم الإسلامي وقتئذ.

وكان علماء نبهاء من بين هؤلاء الحجيج يُدَوِّنُون مشاهداتهم، فيصفون تجوالهم في مختلف تلك الأقطار، ويسجلون الأحداث التي عرضت لهم مدة ترحالهم تخليدًا لذكرهم، وهداية لإخوانهم وبقية مواطنيهم، وتعريفًا بالمسالك التي يجب سلوكها، أو المهالك التي ينبغي اتقاؤها.

كان طالب العلم بالمغرب إذا ما اجتاز مرحلة تكوينه العلمي يشد الرحال إلى المشرق بنية الحج الديني، والحج العلمي - إن صح هذا التعبير - ، وهذا ما جعل الحج من الفرائض التي يحرص كل مغربي على أدائها، والدارس والباحث ينتقل من مدينة علمية إلى أخرى من أجل الاستفادة والإفادة، وقد تطول مثل هذه الرحلات العلمية إلى المشرق، وتعاد أحيانًا بحسب همة الباحث المعرفية، وقوة تطلعه إلى الثقافة والفكر، وهذا ما يفسر لنا تأصل فريضة الرحلة الحجاجية العلمية عند المغاربة؛ فالرحلة العلمية دعت إلى الحج، والحج دعا إلى الرحلة العلمية، وكأنهما وجهان لعملة واحدة.

وبالرغم من ذلك، لا يمكننا أن نسلم بأحادية الدافع إلى الرحلة، ونتجاهل الدوافع الأخرى التي كانت نتيجة لها، وعلى رأسها الدافع العلمي، والراحل في سبيله عن طريق الاتصال بكبار العلماء والأدباء والمفكرين، لتحقيق الروايات وأخذ الأسانيد والإجازات، والاطلاع على المؤلفات، ومناقشة المسائل العلمية والنوازل الأدبية، حتى ينتهز الراحل فرصة هذا السفر الطويل الذي يبتدئ من المغرب مرورًا بمصر وانتهاءً بالحرمين الشريفين، وكانت هذه المناطق تمثل الخط الجغرافي الذي يسير فيه ركب الحجيج المغربي، بحيث يقف الراحل بكل عواصم العلم التي يمر بها في طريقه، ويصفها ويذكر مساجدها ومآثرها، وعلماءها وأدباءها.

لقد كان الحج إذن يسمح بكثير من الاتصالات الفكرية بين العلماء؛ فالمسافر كان يتوقف بطرابلس والإسكندرية، وأحيانًا كان يصعد حتى اليمن، كما كان العالم المغربي يتلقى بعض الدروس ويلقيها، فكانت هذه الاتصالات غالبًا تتوج بإجازات في مختلف العلوم والفنون والآداب، يتبادلها العلماء والأدباء فيما بينهم.

مر كثير من الرحالة والمؤرخين عبر الأراضي الليبية التي كانت تسمى بطرابلس في ذلك الوقت، وكان أكثر هؤلاء الرحالة من حجاج بيت الله، ومن الطبيعي أن الرحلات هي تسجيل للأحوال السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، فهذه الرحلات ذكرت كثيرًا من الفقهاء والعلماء، كما ذكرت القبائل وأسماء الأماكن وأحوال الناس وطبيعة حياتهم، فالرحلات هي مرآة عاكسة لحياة أي مجتمع من المجتمعات، وذات قيمة علمية كبيرة لما تحتوي عليه من معلومات قيمة في وصفها لمناطق حلها وترحالها، مما جعلها رافدًا من روافد العلم التي يستند عليها علماء التاريخ والجغرافيا والآثار والأدب في كتاباتهم، حيث يعد الرحالة شاهد عيان مما يعزز

ويؤكد صحة معلوماته، ومن هنا تدعو الحاجة إلى دراستها بعمق لاستخلاص المعلومات التي تتصل بتاريخ بلادنا ومدينتنا بشكل خاص والتاريخ العربي الإسلامي لأمتنا العربية الإسلامية بشكل عام.

وقد استأثرت الرحلات المغربية بتاريخ وجغرافية ليبيا، حيث إن عشرات الرحالة المغاربة دونوا مذكراتهم من خلال مقامهم بها، الأمر الذي يقدم لنا معلومات عن طبيعة البلاد وأمرائها وقادتها وفقهائها وعلمائها، سواء عند ذهابهم أو إيابهم.

ويعتبر الرحالة أبو سالم العياشي من أوائل الرحالين إلى الحجاز، بحيث تعرف على الحياة العلمية والفكرية بالمشرق، واتصل بعلمائها وفقهائها، بل والأكثر من هذا، أن قريحته جادت بتأليف، رحلته المسماة: (ماء الموائد).

ترتكز الدراسة على وصف مصراتة من خلال رحلة العياشي المسماة بـ (مائدة الموائد) التي قامت عام 1072-1074هـ/1661-1663م، فجمعت بين ما وصفه الرحالة وما سمعه ممن التقى بهم في رحلته التي تعد ذات قيمة علمية كبيرة لوفرة المعلومات التي بها، ولشموليتها وتحليلها لمختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية والثقافية بشكل دقيق.

وستتناول في هذا البحث ما سجله من ملاحظات عن أحوال مصراتة، حيث تعد مصراتة من أهم المدن التي كثر ورودها في الرحلات المغربية المدونة؛ لكونها كانت من أهم جسور التواصل بين المشرق والمغرب العربيين، ولذلك اهتمت بها الرحلات المغربية باختلاف أنواعها وتوجهاتها، فوصفت أحوالها الطبيعية والاجتماعية والثقافية، وحرصت على ذكر شيوخ العلم والتصوف فيها، فالطرق التي كان يسلكها ركب الحاج المغربي نحو المشرق وإن اختلفت مراحلها ومنازلها، لكنها تلتقي جميعها في أول البلاد الليبية، وأهم الطرق التي نعرفها هي كما يلي:

-طريق محاذٍ للساحل المتوسطي، وهو الذي كان يسلكه الركب القاسي، وهو كما وصفه العبدري يمر بتلمسان، فبجاية، فتونس، وصولاً إلى زوارة بالبلاد الليبية، وسلك هذا الطريق كل من ابن رشيد السبتي، وابن بطوطة، والبادسي، وأحمد زروق، والحسن الوزان... وغيرهم.

-طريق صحراوي كان الركب السجلماسي يستعمله إلى أن يلتقي بالركب القاسي في زوارة أيضاً، ومن أهم مراحلها: توات، وركلا... ثم نفاوارة، وسلك هذا الطريق كل من أبي سالم العياشي وابن ناصر الدرعي.

-طريق ثالث ورد ذكره في الرحلة التي نظمها أبو عبد الله محمد العامري، يلتقي بالطريقين السابقين في زوارة، ومن أهم مراحلها: عين ماضي، بسكرة، قابس.

فمنذ القرن السابع الهجري حيث نلتقي لأول مرة برحلات مدونة، إلى نهاية القرن الرابع عشر الهجري، وأفواج الرحالة المغاربة تقطع البلاد الليبية جيئةً وذهاباً، ابتداءً بابن رشيد السبتي في القرن السابع الهجري، وانتهاءً بأبي إسحاق إبراهيم الألفي في أواخر القرن الرابع عشر الهجري الذي كانت ليبيا منتهى رحلته.

أما الشيخ أبو العباس أحمد زروق فبعد رحلاته المختلفة التي طاف خلالها في بلاد المشرق والمغرب، فإنه يختار مصراته ليقضي بها أواخر سنّي حياته، منصرفاً للعبادة والتدريس والتأليف، فلقد صدر عنه – وهو بهذا البلد – أكثر من عشرة كتب، في مقدمتها كتابه (عدة المريد) وربما كان اختياره لمصراته نابعا من وصية شيخه الحضرمي له والمتمثلة في قوله:

عش خامل الذكر بين الناس وارض به *** فذاك أسلم للدينا وللدين

من خالط الناس لم تسلم ديانته *** ولم يزل بين تحريك وتسكين

واستقرار زروق بمصراته أضحى أيضاً من عوامل شد الرحال إلى ليبيا فيما بعد، خاصة بعد أن صارت مركزاً للطريقة الزروقية، يحج إليها المريدون للأخذ عن الشيخ والاستمداد منه، كما أن ضريحه صار مزاراً يحرص الرحالة المغاربة على أن يؤمّوه في الورد والصدور معاً، بل إن منهم من يقيم بجواره فلا يبرحه حتى يؤذن له، كما أصبحت زاويته مركزاً علمياً مهماً يقصده الكثيرون من أقاليم ليبيا، وغيرها لتحصيل المعرفة وأخذ الطريقة، فاعتبره بعضهم لذلك أقدم معهد علمي في جميع أنحاء ليبيا دون استثناء.

وتعد الرحلة العياشية من أهم الرحلات التي يمكن اعتمادها مصدراً مهماً للتاريخ الحياة الثقافية في مدينة مصراتة في القرن الحادي عشر الهجري.

وبناء على هذا فإننا سنحاول إلقاء الضوء على مصراتة من خلال رحلة العياشي، حيث سندرس ما ورد في هذه الرحلة عن مدينة مصراتة بالوصف والتحليل ومطابقتها ومقارنتها بما ورد في المصادر التاريخية الأخرى.

مشكلة البحث:-

إن تغير مسار طريق التجار والحج في حوالي القرن السادس الهجري/ الثاني عشر الميلادي ليمر بمصراتة بعد أن كان يمر بجنوبها، مما ترتب على ذلك بروز اسم مصراتة بين الحجاج والرحالة، خاصة وأنها كانت آخر المنازل العامرة قبل دخولهم بركة التي كانت خالية من العمران، وهذا كان سبباً في وجود بعض المعلومات عن مصراتة لدى بعض الرحالة، وخاصة المغاربة والجغرافيين العرب، وهذا ما جعلنا نبحث في ثنايا هذه الرحلة لجمع ما بها من معلومات عن مسراتة.

أهداف البحث:-

يهدف البحث إلى إبراز الأهمية التاريخية والجغرافية لمصراتة التي تمتعت بها خلال العصر الإسلامي الوسيط، من خلال ما ورد في هذه الرحلة من معلومات تخص هذه المدينة، بالإضافة على إلقاء الضوء على ما كانت تتمتع به من إمكانيات ذاتية، وأثرها في تنشيط الحياة الثقافية، واستخلاص ما كتب في الرحلة عن المدينة بدراسة مستقلة نظراً لأهميتها.

أهمية البحث:-

تكمن في استخراج قراءة جديدة من نصوص رحلة العياشي التي تحدثت عن مصراتة، مما يتيح لدراسات مستقبلية نقدية عن موضوع البحث، نظراً لأهمية هذه الرحلة من خلال اعتماد معظم المراجع الحديثة التي أرخت للمدينة في الاعتماد على ما ورد في هذه الرحلة من معلومات.

منهجية البحث:-

سنستخدم المنهج التاريخي السردى الوصفي من خلال النصوص الواردة في الرحلة والمتعلقة بموضوع البحث دون إغفال المصادر التاريخية الأخرى ذات العلاقة بالموضوع.

سيرة صاحب الرحلة (العياشي) الذاتية:

هو أبو سالم عبد الله بن محمد أبو بكر العياشي المالكي، ولد عام (1037هـ/ 1267م)، وكنيته أبو سالم، وهي كنية شرقية حصل عليها من أستاذه أبي اللطيف في مصر الذي أجازها، شاعر ناثر، فقيه صوفي رحالة، وتكوينه العلمي يرجع الفضل فيه إلى الزاوية العياشية، ثم إلى الزاوية الناصرية بدرعة التي كان أبوه أحد مقدميها، على أن تكوينه أكتمل بجامعة القرويين في مدينة فاس، فتردد على دروس أعلامها المشهورين، مثل محمد ميارة، وعبد القادر الفاسي، وغيرها، كما أخذ عن كثيرين بالبلدان التي دخلها في رحلته، ولقد ضمن فهرسته (اقتفاء الأثر)، المشايخ والأعلام الذين أخذ عنهم بالمغرب ومصر والحرمين الشريفين، وبهذا التكوين المتنوع صار مؤهلاً لينتصب للتدريب في كل من الزاوية العياشية، ومدينة فاس، كما اشتغل بالتأليف والكتابة، فألف ما يناهز ثلاثين مؤلفاً تتوزعها الفنون المختلفة من نحو وفقه، وتصوف، وحديثي، ورسالة، وشعر، وأهم هذه المؤلفات رحلته (ماء الموائد) وفهرسته (اقتفاء الأثر)⁽¹⁾.

أما رحلته المعروفة فتشبه الكثير من الرحلات الحجازية المغربية في موسوعيتها، وتضمينها للكثير من المعلومات والفوائد، وإثباتها لقضايا وأخبار وأحداث قد لا توجد في كتب التاريخ الموضوعية، وانفرادها بعدد كبير من النصوص النادرة كالرسائل والأشعار، ومختصرات المطولات، والأسانيد العالية، والأوراد، والوظائف الصوفية... وغيرها من الفوائد والتنبيهات والملاحظات والطرائف والعجائب كما يسميها العياشي نفسه، فهي إذن أشبه بما يعرف بدائرة المعارف.

(1) خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002، ج4، ص129؛ علي مفتاح إبراهيم منصور، الرحلة العرب ودورهم في كتابة تاريخ ليبيا السياسي والاقتصادي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، منشورات مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م، ص53-54.

لقد كان العياشي دقيقاً في وصف الطريق التي يسلكها ركب الحاج المغربي في القطر الليبي، وهو يمر بالبلدان والمدن المهمة آنذاك، وهي على الترتيب في رحلته، طرابلس، زليتن، مصراته، برقة، سرت الجبل الأخضر، وبين كل بلد وآخر مراحل كثيرة.

ويبدو أن الخريطة التي رسمتها الطبيعة قبل أن يختارها الإنسان؛ لكون الطريق تمر محادية لمصادر الماء من ينابيع وآبار وواحات وأحساء، فتبدو الرحلة وكأنها رحلة عطش، فلم يكن من الصدفة أن يكون عنوانها (ماء الموائد)، إذ نحس في الرحلة كأن الركب يلهث بحثاً عن الماء، فهاجس الحصول على الماء حاضر في كل مرحلة يعبرها الركب.

تقدم لنا الرحلة معلومات مهمة عن الحياة الروحية بليبيا آنذاك، فتتعرف من خلالها على كثرة الزوايا والمزارات والأضرحة، كما نتبين الدور المهم الذي كان ينهض به الشيوخ المتصوفة في تربية المريدين الذين عجت بهم الزوايا لأخذ الطريقة الصوفية وقراءة الأوراد والوظائف المختلفة، والزوايا المهمة التي كانت بليبيا على عهد العياشي كثيرة، وأخص منها بالذكر زاوية زروق بمصراته، التي قصدتها صاحب رحلتنا العياشي وحضر في بعض قراءة الوظائف والأوراد، واجتمع إلى مريديها، حيث كانت زاوية سيدي أحمد زروق، وهي أكثر شهرة في ليبيا حينئذ، يقصدها الليبيون وغيرهم من بلدان المغرب العرب⁽¹⁾.

بداية الرحلة⁽²⁾، ودخوله إلى مصراته:-

ذكر الرحالة العياشي أنه عندما خرج من زليتن، لم يبت يوم رحيله من زليتن إلى أول مسرارة⁽³⁾، وقال العياشي معرفاً بصاحب الزاوية: ومن "الغد ارتحلنا ونزلنا بزاوية الشيخ المحقق العالم العلامة العارف بالله، الدال على الله صاحب العلمين، ومحقق النظرين ومحصل المذهبين، ومرضى الفريقين، مقتدى أهل العلم الباطن ومتبوع أهل الظاهر، وبنبوع الأسرار في سائر المظاهر، وقطب مغربنا، وإمام أئمتنا سيدي أبي العباس أحمد بن أحمد زروق البرنسي الفاسي⁽⁴⁾، حقق الله إليه نسبتنا وخلص في محبته سريرتنا أمين"⁽⁵⁾.

نستخلص مما سبق ذكره أن عند نزول العياشي في مصراته لم يقم بتحديد المكان الذي نزل فيه عند دخوله للمدينة، ولا المكان الذي قضى فيه ليلته عند أول نزوله هو والركب، كما لم يقم بوصف المدينة، مما يدل على أن نزولهم كان تحصيل حاصل لوقوعها في طريقهم إلى الحج عبر الطريق التجاري البري الساحلي الذي كان يمتد من المغرب الأقصى إلى الإسكندرية بمصر، ماراً بعدد من المدن الساحلية⁽⁶⁾، وقد عاد للطريق نشاطه في أواخر القرن الثاني عشر بسبب استتباب الأمن بعد سيطرة الدولة الموحدية 541-668هـ/1146-1269م، على المغرب الإسلامي، مما كان له كبير الفائدة في عودة الحيوية للطريق، حيث أصبح مسار الطريق البري يمر بها بعد ما كان يمر جنوبها، وصار يمر بين قراها حتى يصل إلى قصر أحمد⁽⁷⁾، ليلتقي بالطريق التجاري البحري في مرسى قصر أحمد، ثم يتجه جنوباً حتى يصل إلى قصور حسان، ليلتقي بالمسار القديم للطريق الذي يتجه شرقاً عبر صحراء سرت وبرقة إلى الإسكندرية⁽⁸⁾.

(1) علي مفتاح إبراهيم منصور، المرجع السابق، ص 53-57.

(2) انظر الملحق رقم (1).

(3) تكتب مسرارة، ومسرارة، ومصرطة، ومسرارة، ومسرت، ومسراتن، حيث ذكرها ابن خلدون فقال: "ومن هواره هؤلاء بأخر عمل طرابلس مما يلي بلد سرت، وبرقة قبيلة يعرفون بمسرارة لهم كثرة واعتزاز" انظر: ابن خلدون، عبد الرحمن ابن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959م، ج 6، ص 290؛ وهي تقع في شمال غرب ليبيا على البحر الأبيض المتوسط، في الزاوية الشمالية الغربية لخليج سرت، تبلغ مساحتها حوالي 2000 كم²، انظر: محمد حسن المنتصر، تاريخ مسرارة منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العهد العثماني، ط 2، دار الكتب الوطنية، دم، 2013م، ص 1.

(4) محمد مفتاح قريو، تراجم أعيان العلماء من أبناء مصرارة القدماء، ط 1، مطبعة النهضة الجديدة، دم، 1970م، ص 5-7؛ أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الديباج، ط 2، منشورات دار الكاتب، طرابلس، 2000م، ص 130؛ أبو عبدالله محمد بن خليل ابن غلبون الطرابلسي، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، عنى بتصحيحه: الطاهر أحمد الزاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004م، ص 254. انظر الملحق رقم (2).

(5) عبدالله بن محمد العياشي، الرحلة العياشي، ط 1، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان الفرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2006م، مج 1، ص 187.

(6) محمد حسن المنتصر، المرجع السابق، ص 43-44.

(7) قصر أحمد: عرف برأس كيفالاي، الذي يحدد موقعه الحالي برأس قصر حمد، عند النهاية الغربية لخليج سرت. انظر: فاطمة عبد اللطيف محمد المنتصر، العوامل الطبيعية وأثرها على نشأة مراكز العمران ونموها في شعبية مصرارة، كلية الآداب، جامعة مصرارة، 2007-2008م، رسالة ماجستير غير منشورة، ص 97؛ وذكر بأن قصر أحمد: "قرية من قرى مسرارة في العصر الإسلامي" انظر: محمد حسن المنتصر، المرجع السابق، ص 49.

(8) محمد حسن المنتصر، المرجع السابق، ص 44.

نلاحظ ثناء العياشي على الشيخ أحمد زروق، حيث كانت زيارة العياشي لزاوية الشيخ زروق⁽¹⁾، يوم الجمعة وفق ما ذكره "وكان نزولنا بزوايته صبيحة يوم الجمعة، وزرنا قبر الشيخ بما اقتضاه الوقت في أدب ووقار، وذل وانكسار، وصلينا الجمعة، بالمسجد الجامع، وهو الذي كان الشيخ يصلي فيه"⁽²⁾.

ومن المستغرب أن يعلق العياشي على خطيب وإمام المسجد الذي خطب الجمعة من ورقة، ولكنه أخطأ وأكثر في الخطأ حتى في قراءة الآيات القرآنية إذ قال: "وخطب إمام المسجد من ورقة، وليته أحسن القراءة منها، فإنه كان يتوقف حتى في آيات من القرآن العظيم"⁽³⁾، وأسف لذلك المكان -مع شرفه- بجوار الشيخ، وخاصة أنه كان في وسط البلد، كيف يسند الأمر إلى غير أهله، ويوضع في غير محله، ولقد برر علي فهمي خشم ذلك، بأنه مضى على إنشاء زاوية زروق أكثر من أربعة قرون ونصف القرن، وأنها لا بد أن تصارع صروف الدهر وتقلبات الأيام، حيث صادف زيارة العياشي للزاوية إهمال في شؤونها بسبب الصراع الذي نشب بين القيميين عليها على أوقاف الزاوية وممتلكاتها فتداعت وفقدت مركزها العلمي في تلك الفترة⁽⁴⁾.

ثم قام العياشي بزيارة خلوة الشيخ⁽⁵⁾ التي تقع أمام المسجد بالقرب منه، وبها توفى، وظل العياشي ومن معه يترددون على قبر الشيخ لزيارته والتبرك به طيلة الفترة التي بقوا فيها بالمدينة.

الفقهاء والعلماء الذين التقى بهم العياشي في رحلته:

التقى من أهل مسرارة بخديم الشيخ ومتولي زاويته سيدي أبو العباس أحمد بن عبد الرحيم بن أحمد⁽⁶⁾، الذي لحق بالشيخ الزروق وأصبح تابعاً له إلى وفاته، ولا تذكر المصادر الليبية تاريخ وفاته، لكن يعتقد أنه توفى خلال العقد التاسع من القرن الحادي عشر الهجري، اعتماداً على رحلة العياشي التي كتبت بعد عام 1074هـ/ 1663م⁽⁷⁾.

ذكر أبو العباس للعياشي أن جده أحمد الذي كان خديم الشيخ هو الذي قام ببناء المسجد الذي هو مصلى ضريح الشيخ، وقد تولى عمارته، ومن ثم أولاده وأحفاده، وقد التقى العياشي بسيدي أبي العباس وابن عمه سيدي عبد الواحد، وكلاهما لا يخلو من بركة، وهما ملازمان للصلاة بجوار الشيخ وقراءة وظيفته⁽⁸⁾، مع الفقراء النازلين بجواره، وكلهم محترمون بحرمته، ليس عليهم مثل ما على غيرهم من الوظائف الجورية لأرباب الدولة⁽⁹⁾.

ذكر العياشي أنه قرأ الوظيفة مع أبي العباس وابن عمه عبد الواحد⁽¹⁰⁾، وهما قد أخذها عن سيدي محمد بن غلبون⁽¹¹⁾، الذي كان يبلغ من العمر ما يقارب مائة أو تجاوزها، وكان يسكن في قصر أحمد، وعلى الرغم من ذلك فقد كان لا يترك صلاة الجمعة بمسجد الشيخ زروق، ويحضر وظيفته إلى إن مات، وقد أدرك خديم الشيخ أحمد عبد الحميد بن أحمد، وكذلك أحد أصحابه وأخصمهم، تلميذه أبو زعامة⁽¹²⁾، صاحب سيدي زروق، الذي كان

(1) ذكر أن الشيخ زروق عندما قدم مسرارة وقرر الاستقرار بها ونزل منطقة فوز النواهمة شمال غرب منطقة الزروق الحالية، وكان يتردد على جامع الجمعة للصلاة وإلقاء الدروس، ثم بنى له خلوة ملاصقة لهذا الجامع، ومن ثم أقام مسكناً لأسرته بالحويرة التي تقع جنوب غرب جامع الجمعة بمسافة 1/2 كم تقريباً، كما اعتاد الجلوس في جابية ماء يسقى بها القصب شمال شرق جامع الجمعة بنحو 1/2 كم، وقد دفن الشيخ زروق قرب هذه الجابية، ثم بعد 20 سنة أقيمت على قبره زاوية تطورت فيما بعد إلى زاوية زروق، أما مكان بيته فأقيم عليه مسجد الحويرة بعد رحيل أسرته إلى قسنطينة بالجزائر، انظر: محمد مفتاح قريو، المرجع السابق، ص 80؛ علي فهمي خشم، أحمد زروق والزروقية دراسة حياة وفكر ومذهب وطريق، ط3، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002، ص 171. انظر الملحق رقم (3).

(2) عبد الله بن محمد العياشي، المرجع السابق، مج 1، ص 187.

(3) عبد الله بن محمد العياشي، المرجع السابق، مج 1، ص 187-188.

(4) علي فهمي خشم، المرجع السابق، ص 183.

(5) الخلوة: هو مكان الاختلاء بالنفس، يلجؤون إليه أهل التصوف ليعتزلون فيه للصلاة والتأمل، انظر: علي فهمي خشم، المرجع السابق، ص 180.

(6) محمد الطيب القادري، نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، مكتبة الطالب، الرباط، 1402هـ/ 1982م، ج 2، ص 374-375.

(7) محمد الطيب القادري، النقاط الدرر ومستفاد الدرر وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق: هشام العلوي القاسمي، دار الأفاق الجديد، بيروت، 1403هـ/ 1983م، ص 243.

(8) الوظيفة: هي الأذكار والأدعية التي يقرأها المرید في كل يوم، والوظيفة الزروقية هي مجموع الأذكار التي وضعها الشيخ زروق البرنوسي القاسي (ت 899هـ/ 1493م)، ليقراها أتباعه ويتخذها ورداً ودعاء يومياً لهم، تتكون من آيات قرآنية وأدعية تنسب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، وللمزيد انظر علي فهمي خشم، الزروق والزروقية، ص 187-193.

(9) ويقصد بها كانوا معينين من دفع الضرائب للدولة العياشي، المصدر السابق، مج 1، ص 188.

(10) عبد الواحد بن محمد عبد الرحيم بن أحمد بن نصير ابن عم أبي العباس، انظر: مصطفى عبد الرحيم محمد أبو عجيبة، زاوية الأمام أحمد زروق ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا، دار رباح للطباعة والنشر، مسرارة، 2001م، ص 57.

(11) محمد بن غلبون، الذي انتهى إليه علو السند في الوظيفة الزروقية في عصره، انظر: المرجع نفسه والصفحة.

(12) القادري، نشر المثاني، ج 2، ص 375؛ النقاط الدرر، ص 244؛ العياشي، المصدر السابق، مج 1، ص 188.

يقول فيه الشيخ الزروق مداعبًا ومازحًا: "يابو زعامة ياعنق حمامة ابشر بالسلامة، ليوم القيامة"، ومن ضمن ما قرأه في الوظيفة الزروقية "يا مولانا يامجيب، من يرجوك ما يخيب، اقض حاجتنا قريب، يا حاضر لا يغيب"، وهذا ليس من كلام الشيخ زروق، وإنما أضافه تلميذه الإمام الخروبي⁽¹⁾ عندما مر بزواية الشيخ قاصدًا الحج واشتكى بعض الحجاج من ظلم الأعراب، فأمرهم بزيادته وإدراجه في الوظيفة، واستمروا بعد ذلك على قراءته، وبرغم ذلك لم يذكرها الخروبي في كتابه (كفاية المرید)، ومرجع هذه الزيادة وأصحها عن طريق الشيخ سيدي أحمد أذفال⁽²⁾، وقد ذكر بأنه أخذها عن شيخه بركات الحطاب⁽³⁾.

ذكر العياشي ما يفيد أن الشيخ زروقًا لم يكن هو باني الزاوية على ما أخبره به قيمها أبو العباس أحمد بن عبد الحميد، "أن جده الذي كان خديم الشيخ زروق، طلب من الشيخ في حياته أن يبنتي الزاوية ويتخذ لها أوقافًا، فقال له: يا أحمد، نحن لاتفوح رائحة مسكنا إلا بعدما تنسوس تحت التراب، وفعلًا هذا ما حدث بعد موته، عندما كثر الواردون والزائرون لقبره حتى انتشر صيته في مشارق الأرض ومغاربها، فقام تلميذه أحمد بعد عشرين سنة ببناء المسجد بإزاء قبره وسكن عنده"⁽⁴⁾.

وممن التقى بهم العياشي في زاوية الشيخ زروق الفقيه سيدي علي ابن عزازة⁽⁵⁾، الذي كان جده من أصحاب الشيخ، وليس له مثيل في بعض فروع الفقه في بلده، وكان متوليًا للقضاء بهذا البلد ثم عزل، وذكر العياشي بأنه، "أخيته في الله تعالى، وأعطاني ورقة بخط الشيخ من شرح الرسالة، رسالة ابن أبي زيد القيرواني، واشترط علي أن أتبئه عليها بدعوة على عرفات، فوفيت له، والحمد لله"⁽⁶⁾.

تركة الشيخ زروق كما ذكرها العياشي:

ذكر العياشي أنه وقف على ورقة عند علي بن عزازة فيها زمام تركة الشيخ، وعدد ورثته ومن خلفه من بعده، عدد متخلفه من كتبه وأمتعته، فساقها باللفظ قال: "لما اشتملت عليه من الفوائد، منها استفادة عدد أولاده وأبن استوطنوا بعده... ومنها التأسى به في قلة ما خلفه من الدنيا مع كونه ذا أولاد ونساء في بلد يشق فيها العيش ولا يعوزه ما يخلفه لهم لو شاء لانتشار صيته وخدمة الدنيا وأهلها له، ومع ذلك لم يخلف إلا ما ستراه"⁽⁷⁾.

وقد جاءت كما يلي:

- 1- زوجته أمة الجليل ابنة أحمد المكرم أبي العباس أحمد بن الفقيه العدل أبي زكريا يحيى الغلباني المسراتي.
- 2- أولاده منها أحمد أبو الفضل، وأحمد أبو الفتح، وابنته عائشة.
- 3- زوجته الفاسية فاطمة ابنة أبي عبد الله محمد الزلاعية الفاسية.
- 4- ابنه من فاطمة الفاسية الفقيه الشاب الطالب الأسعد أبو العباس أحمد الأصغر.
- 5- ابنه الشيخ الفقيه القدوة المدرس أبو العباس أحمد الأكبر⁽⁸⁾.

(1) أبو عبد الله محمد الخروبي الجزائري: العالم الفقيه الصوفي العارف بالله تعالى، ولد بقرية فرقارس، وبيته بيت علم، حضر مجالس العلم، وأخذ عن أساتيد مصر ومشايخ عصره، مثقف في علوم الفقه والحديث، له تصانيف عجيبة، مثل: كفاية المرید، وشرح على الصلاة المثبتة، توفي سنة 963هـ/ 1555م، انظر: محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر، دم، دت، ص284؛ أحمد بك النائب الأنصاري، نفحات النسرین والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، دار الفرجاني، طرابلس، 1994م، ص104.

(2) أحمد بن أذفال السوساني الدرعي: ولد حوالي سنة 930هـ/ 1524م، الفقيه المتصوف، ارتحل من موطنه درعة إلى فاس، وشد الرحال إلى المشرق حاجًا، وطريقته صوفية زروقية شاذلية، أخذها عن مشايخ المشرق والمغرب، توفي سنة 1023هـ/ 1615م، انظر القادري، التقاط الدرر، ص66.

(3) بركات الحطاب: أخذ الفقه عن والده، وألف المنهج الجليل في شرح مختصر خليل في أربعة أسفار، توفي سنة 980هـ/ أنظر أحمد بك النائب، المنهل العذب تاريخ طرابلس الغرب، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1961م، ص101-102.

(4) علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص181-182؛ عبد الله كنون، موسوعة مشاهير رجال المغرب، دار الكتب المصرية، القاهرة، دت، مج3، ص21.

(5) علي بن عزازة: قاضي الزاوية الزروقية، فقيه مالكي، لم يعين القادري تاريخ وفاته، كان جده من أصحاب الشيخ زروق، انظر: القادري، التقاط الدرر، ص244؛ نشر المثاني، ج2، ص375؛ وحسب ماجاء لدى العياشي فإن هذه الأسرة تملك تقييدًا تركة زروق ومتخلفه، العياشي، المصدر السابق، ص189.

(6) العياشي، المصدر السابق، مج1، ص189؛ القادري، نشر المثاني، ج2، ص375.

(7) العياشي، المصدر السابق، مج1، ص190؛ عبد الله كنون، المرجع السابق، مج3، ص22.

(8) للمزيد عن أولاد الشيخ زروق، انظر: مصطفى عبد الرحيم محمد أبو عجيبة، زاوية الأمام أحمد زروق ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا، دار رباح للطباعة والنشر، مصراتة، 2001م، ص19-26.

وخالصة ما في تلك الورقة أن الشيخ زروق توفى عن زوجتين وأربعة أولاد، كل منهم يسمى أحمد، ولكن يتميز كل واحد منهم بكنية خاصة به، وبنت واحدة اسمها عائشة، هؤلاء الذين ذكروا في الورقة التي وجدها العياشي لدى علي بن عازره، ثم بعدما حصر هؤلاء الورثة أردف ببيان من آلت إليه التركة بعد من توفى منهم، حيث ذكر بأنه توفى أحمد أبو الفتح، لينحصر إرثه في والدته وشقيقه أبي الفضل وأخته عائشة، وأخيه لأمه أحمد ابن الشيخ، ثم توفيت عائشة فانحصر إرثها في أمها أمة الجليل وشقيقها أبي الفضل، وأخيها لأمها أحمد ابن الشيخ، ثم توفى أبو الفضل فانحصر الإرث في والدته أمة الجليل وأخيه لأمه أحمد ابن الشيخ، وأخويه لأبيه أحمد الأكبر وأحمد الأصغر⁽¹⁾.

كما كان من مخلفات الشيخ نصف الفرس الشهباء كبيرة السن التي كانت شركة بينه وبين الحاج عبد الله بن عازرة التكرياني المسراتي بالنصف، مع برونوس أبيض، وجبة صوف برز مختم مع ثوب بالغزل، وسبحة قفل كان أخذها من الشيخ أحمد بن عقبة الحضرمي اليمني، مع أربعة عشر سفرًا وكناش.

" هذا هو تراث زروق المادي، فليخجل عند ذكره كل شيخ يزعم التصوف، وهو أغنى من قارون"⁽²⁾.

أما عن إرثه الأدبي فيحتوى على مجموعة من الكتب في الفقه والتصوف.

مكتبة زروق وما بها من كتب:

ومن خلال هذه الورقة ذكر فيها مجموعة من الكتب التي لعلها شكلت مكتبته الخاصة:

- 1- الكتب في الفقه من مختصر ابن عرفة.
- 2- أسفار في الكبير مع حاشية الوانوعي.
- 3- المشدالي على المدونة مع سفر فيه مختصر الشيخ خليل.
- 4- الشامل للشيخ بهرام.
- 5- شرح ابن عسكر في الفقه للشيخ أحمد.
- 6- الديباج المذهب في التعريف برجال المذهب لابن فرحون.
- 7- من تأليف الشيخ أحمد زروق القواعد في علم التصوف
- 8- سفر فيه قواعد للونشريسي.
- 9- سفر فيه للزركشي.
- 10- السبكي في أصول الفقه.
- 11- بلوغ المرام لابن حجر.
- 12- البلالي اختصار الاخيرار.
- 13- سفر به شرح التفتازاني في أصول الدين.
- 14- الحكم لابن عطاء الله.
- 15- المنهل الرروي في علم الحديث.
- 16- سفر من علم الحديث بخط الشيخ أحمد زروق.
- 17- وتأليف للشيخ عبد الرحمن الثعالبي مع إجازة له، وشئ من ابن حجر في علم اللغة.
- 18- سفر فيه تفسير القرآن.

(1) العياشي، المصدر السابق، مج1، ص190.

(2) عبد الله كنون، المرجع السابق، مج3، ص22.

19- كناشه تحتوي على وظائفه وغير ذلك.⁽¹⁾

هذا ما وجد لدى الشيخ من كتب، التي ذكرت ضمن تركة الشيخ في الورقة التي وجدها العياشي، أما بخصوص مؤلفاته فيمكن معرفتها من خلال ما ذكر في بعض المصادر.⁽²⁾

ما آلت إليه تركة الشيخ زروق:

استوطن الشيخ أحمد الأكبر بعد موت أبيه ببلاد المغرب واستقر بمدينة قسنطينة، وأرسل في طلب ما تركه والده من تركة، وكان تحت يد الشيخ منصور، ولكنه رفض إرساله بحجة عدم الأمن والأمان حتى حضر أحمد الأصغر لمدينة طرابلس، وبعد الأخذ والرد وافق الشيخ منصور بعد ثبوت إذن بأن يأخذ نصيبه ونصيب والدته فاطمة وإرثها، ونصيب أخيه أحمد الأكبر، وقبض جميع تركة والده عدا نصف الفرس التي قبض ثمنها، وهو ثمانية دنانير ذهبًا، وأبراه بتاريخ أوائل ذي الحجة سنة 913هـ/1507م.⁽³⁾

وممن لقيه العياشي من أهل الخير والصلاح سيدي فتح الله بخير⁽⁴⁾، من أحفاد سيدي عبد السلام، وهو ممن يرجى بركاته، وقد نزل وحده بداره منقطعًا عن الناس في نخيل على طرف البلد من ناحية البر.⁽⁵⁾

كما سعى إلى الاتصال بكثير من أهل الصلاح والمجاذيب، وأهل الصدق في الأحوال للتبرك، والمواخاة، والتعبد، فذكر نحو العشرين منهم في رحلته، منهم: أبو تركية، من مصراتة وغيره في المناطق الأخرى، والمجذوب الصادق سيدي أبو زكية -المقصود به أبا تركية⁽⁶⁾-، رجل متقشف لو قسم على الله لأبره، وهو نازل وحده بساحل البحر بأهله، يرد عليه أهل الله السائحون في الأرض، يدخلون البادية من أجله بنية التبرك والتوكل قاصدين الحجاز الشريف، فمنهم من يرجع بعد أعوام، ومنهم من يبقى هناك، ومنهم من لا يوقف له على خبر⁽⁷⁾.

ولما كان مدفن زروق يقع على حافة الصحراء، قريبًا من ساحل البحر، على الطريق إلى مكة، فلا غرو أن تأتي أغلب كراماته ذات صلة بهذه الثلاثة⁽⁸⁾، إذ قال العياشي: "إنه كان من عادة الحجاج القادمين من شمال إفريقيا أن يودعوا أموالهم وأرواحهم لدى زروق حين وصولهم إليه، ولم يكن يصيب أحدًا منهم أذى في ما يملك أو في شخصه حتى يعود سالمًا"⁽⁹⁾، لذا عندما ارتحل العياشي يوم الأحد من زاوية سيدي أحمد زروق بعدما قام بزيارته وقراءة وظيفته وما تيسر من القرآن والدعاء عند قبره، وذكر بأنه والركب أودعوا أنفسهم وأموالهم عند قبره، لما شاع بين الحجاج " أن من مر بقبره وأودع الله عنده نفسه وماله لا يصيبه مكروه حتى يرجع"⁽¹⁰⁾، والكثير من الحجاج يفعلون ذلك إذا مروا به أو حادوه في البحر فيجدون بركته، ولا بدع في ذلك ولا غرابة، فإن الله حفيظ لا تضيع ودائعه، والأولياء أبواب الله، فمن أودع الله شيئًا عند باب من أبوابه فكيف لا يحفظه فيه: { فَأَلَّه خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ }⁽¹¹⁾.

أما الأضرحة والمزارات فقد كان لها نصيب في رحلة العياشي، فعددها لا يحصى، عرّف بعدد كبير منها، ووقف على مجموعة من هذه الأضرحة، كقبر سيدي أبي شعيفة بقصر أحمد في مصراتة، مر العياشي بقصر أحمد بعد

(1) العياشي، المصدر السابق، مج1، ص191.

(2) محمد بن محمد مخلوف، المصدر السابق، ص268؛ أحمد بابا التتبيكتي، المصدر السابق، ص131-132؛ وللمزيد للتعرف على مؤلفاته، انظر: محمد مفتاح قريو، المرجع السابق، ص59-62؛ عبد الله كنون، المرجع السابق، مج3، ص23-40.

(3) العياشي، المصدر السابق، مج1، ص190؛ علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص65-66.

(4) فتح الله: هو من صالحين ذرية أولاد الشيخ سيدي عبد السلام، له حالة حسنة، وتمسك بظاهر السنة والشريعة، وله إخلاص كثير في أعماله وله كرامات، انظر: عبد السلام بن عثمان الأسمر الفيتوري الطرابلسي، كتاب الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات، نقله من الخطوط الطرابلسية: روفائيل رايبس، طبع بمطبعة الولاية، طرابلس الغرب، 1931م، ص99.

(5) العياشي، المصدر السابق، مج1، ص193.

(6) أبو تركية: هو من الصالحين... وله كرامات وخوارق، فيه سقاء كثير، ومحبة للصالحين، لا يكاد يدخل البلد أحد من الصالحين إلا ويأتيه ويأكل طعامه، انظر: عبد السلام بن عثمان الأسمر الفيتوري الطرابلسي، المصدر السابق، ص105؛ وقد عرف به العياشي في رحلته، العياشي، المصدر السابق، مج1، ص193.

(7) العياشي، المصدر السابق، مج1، ص193.

(8) علي فهمي خشيم، المرجع السابق، ص70.

(9) العياشي، المصدر السابق، مج1، ص193.

(10) العياشي، المصدر السابق، ص193.

(11) سورة يوسف، آية64، وللتعرف على بعض كراماته انظر: ابن غلبون، المصدر السابق، ص255-256.

هذه من البدع والضلالات التي انتشرت في المجتمع الإسلامي شرقًا وغربًا، وإن أبو سالم العياشي لم يذكر وجهة نظره، ولم يبدأ رأيه وهو يسجل رحلته، متحليًا بموضوعية كبيرة، فهذا ما سجله بوضوح ما حل بعقيدة المسلمين وعلمهم من خلل وزلل خلال القرن الحادي عشر الهجري، فكل هذه الممارسات والمعتقدات لا تمت إلى جوهر الإسلام وحقيقته بصلة.

خروجه من زاوية الشيخ، وهو يعد آخر العمران ولا عمارة بعده على طريق الحجاج إلى الإسكندرية، وقام بزيارة قبر الولي سيدي أبي شعيفة⁽¹⁾، الذي كان على تل مرتفع بساحل البحر، وقد استغرب العياشي عندما وجد عند قبره سيدي أبا تركية، لأنه تركه في اليوم الأول عند قبر الشيخ زروق، علمًا بأن بيته بعيد عن المكان الذي التقى به فيه لذلك عد العياشي ذلك كرامة من كرماته - والله يعين العبد على قدر نيته⁽²⁾.

اصطحب الشيخ أبو تركية العياشي لزيارة مغارته بساحل البحر التي يتعبد فيها الصالحون، وهي صغيرة مستقلة البحر لا يكاد أحد أن يطلع عليها إلا من عرفها، وأخبره بأن مفتتح هذه المغارة رجل عابد أسمه سيدي فرج، وهو يعيش الآن في الجزائر، وكانت مغلقة قبل ذلك لاعلم لأحد بها، إلا عندما استقر بها، وقد مرَّ به أناس اعتبرهم من الأختيار، أحدهم سيدي أبو القاسم السوسي⁽³⁾ بالمدينة، وسيدي علي التونسي⁽⁴⁾، ثم قام العياشي بتوديع الشيخ وكتب له ورقة بخطه ليذكره بالدعاء له ولإخوانه وغادر المدينة قائلاً: "فارقتنا آخر العمران ودخلنا برقة"⁽⁵⁾.

طريق العودة للعياشي بعد أداء فريضة الحج:

أنهى العياشي خروجه من مصراته بقوله: "فارقتنا آخر العمران ودخلنا برقة" ليبدأ عند عودته ليدخل إلى مصراته بقوله: "لاحت لنا أعلام العمارة، وظهرت لنا من الدنيا إمارة، وتصايح الحجاج: البشارة البشارة، هذه أوائل العمران قد كشف لنا استاره بأمان"⁽⁶⁾، ودخل العياشي ومن معه قصر أحمد ظهراً، فظهرت عليهم بشائر الفرح والسرور لمشاهدتهم أعلام العمارة، وما ذاك إلا لأنهم لم يروا العمارة من فترة طويلة، منذ خروجهم من برقة للدرجة التي خيل إليهم أن المباني والنخيل شيء لم يعرفوه، وانتشار الناس بين أحيائها ما ألفوه، وكانهم "أموات نشروا ومن المقابر حشروا"⁽⁷⁾، لعله لا نجد أبلغ من هذا الوصف ليدل على مدى العمارة والعمران التي كانت في مدينة مصراته في ذلك الوقت.

وما ذكره حسن الوزان يؤكد ما كانت تنعم به المدينة من عمران، حيث قال: "أهل مسراتة أغنياء، لأنهم لا يؤدون أية إتاوة، ويتعاطون التجارة، ... محققين أرباحاً من رحلة الذهاب ورحلة الإياب"⁽⁸⁾.

وعندما دخل العياشي قصر أحمد سأل على صاحبه عبد الله بن غلبون، فدلوه على مسكنه ولكن لم يجده فيه، فانتظره في فناء المنزل حتى حضر الشيخ وقام بواجب الضيافة" فأكرم نزولنا، وأجزل قرانا، وعلف خيلنا، وطلب منهم المبيت، ولكن العياشي اعتذر لعدم نزول الراكب، وواصلوا المسير حتى منطقة تكيران -منطقة الزروق-، بلد ولي الله تعالى قطب الزمان وإمام أهل العرفان سيدي أحمد زروق، رضى الله عنه ونفعنا به⁽⁹⁾.

سار العياشي وصاحبه الذي لم يذكر اسمه، ولم يقوما بالنزول في منزل الراكب قرب المسجد، بل دخلا للزيارة والصلاة بالمسجد، إلا أنه وجداه غاصاً ممتلاً بالحجاج، مما جعله يذهب إلى دار صاحبهما سيدي أبي العباس خديم الزاوية، فباتوا هناك وكان ذلك يوم الجمعة، وعند وجود العياشي في دار أبي العباس كتب له سؤالاً في مسألة بيع الثياب، هل تبطل بموت البائع والمشتري، فكتب العياشي له في ذلك مجيباً على سؤاله بترجيح البطلان بموت المتطوع بها، لأنها هبة لم تقبض، والمشكلة أن العياشي لم يكن يعلم بأن هذه المسألة كانت بين أبي العباس وابن عمه عبد الواحد، الذي وجد في نفسه شيء عليه⁽¹⁰⁾.

ظل الراكب يوم الجمعة والسبت لزيارة الشيخ، وكانت الأمطار تسقط منذ خروجهم من الجابية، فلم يمر يوم صاح بدون أمطار، فأخصبت البلد وغرزت مياهها مما أوجد بحيرات مياه في كل بلد من الماء النازل من الجو والنابع من الأرض، ولكن هذا أضر بالإبل في سيرها لكثرة الوحل، وواصل العياشي والراكب رحيلهم يوم الأحد مخلفاً

(1) أبو شعيفة: المعروف في مصراته، هو أحد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم، الذين دخلوا ليبيا واسمه (أبو سجييف)، وحرف إلى أبو شعيفة، انظر: الحبيب محمد الأمين، تحقيق الدروب إلى زاوية المحجوب، مكتبة منارة المحجوب العلمية، مصراته، 2006م، ص14.

(2) العياشي، المصدر السابق، مج1، ص194.

(3) لم اعثر له على ترجمة من خلال المصادر والمراجع التي اطلعت عليها.

(4) لم اعثر له على ترجمة من خلال المصادر والمراجع التي اطلعت عليها.

(5) العياشي، المصدر السابق، مج1، ص194.

(6) المصدر نفسه، مج2، ص499.

(7) المصدر نفسه والصفحة.

(8) حسن الوزان، وصف إفريقيا، ط2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م، ص111.

(9) العياشي، المصدر السابق، مج2، ص499.

(10) العياشي، المصدر السابق، مج2، ص499.

ناقاة وهبها لصاحبه أبي العباس الذي طلب منه أن يمكنها لولده ولا يقل إنها هبة حتى لا يشاركه فيها من بقى من خدام المحل، ففعل ذلك العياشي ابتغاء مرضاته⁽¹⁾.

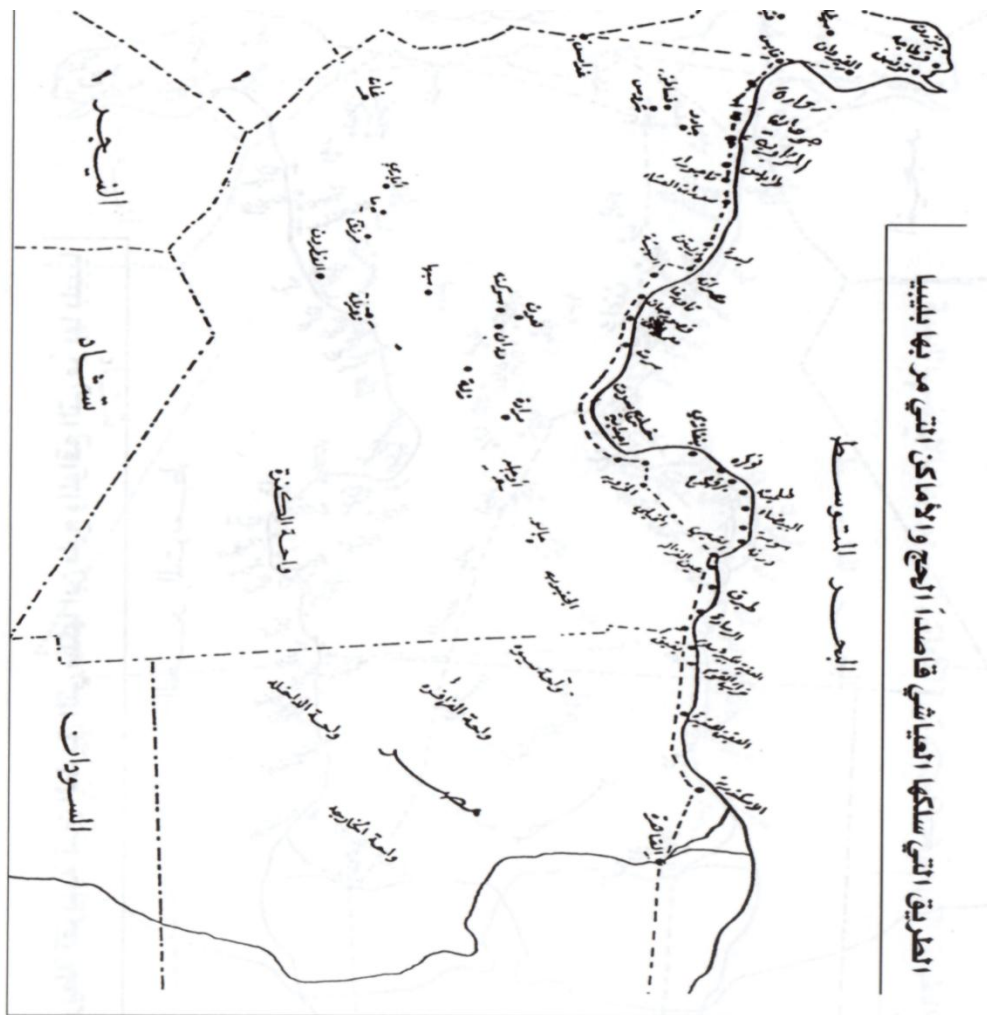
الخاتمة:

نستخلص مما سبق ذكره ما يلي:

- 1- تعتبر الرحلات من أهم المصادر في كتابة التاريخ الليبي، لما احتوت عليه من أهمية من خلال رصدها للإحداث في مختلف الجوانب السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية.
- 2- شكلت الرحلات المغربية بشكل عام ورحلة العياشي بشكل خاص أساساً لدراسة الحياة الفكرية الثقافية في مدينة مصراتة، خاصة فيما تعلق بالشيخ زروق وزاويته، حيث أصبح ما سجله العياشي مصدر لمعلومات كثير من المراجع التي أرخت لتاريخ مصراتة الثقافي بشكل خاص، وتاريخ ليبيا بشكل عام.
- 3- كانت مصراتة تتمتع بالاستقرار والهدوء والأمان، مع ما تتمتع به من رخاء وعمران، وهذا ما نستنتجه من خلال ما ذكره العياشي في رحله.
- 4- مكانة الشيخ زروق الرفعية لدى أهالي مصراتة، حيث نال كثيراً من التوقير والاحترام، بسبب مكانته العلمية وشهرته الصوفية.
- 5- أهمية زاروية زروق داخل المدينة وخارجها، فهي مؤسسة عالمية جذبت إليها الطلاب من مختلف أنحاء العالم الإسلامي.
- 6- بروز العديد من الفقهاء والعلماء في مدينة مصراتة، تمكن العياشي من رصدهم والالتقاء بهم في رحلته.
- 7- أوضحت رحلة العياشي مدى الكرم وحسن الضيافة عند أهالي المدينة دليلاً على الأصالة والجود.

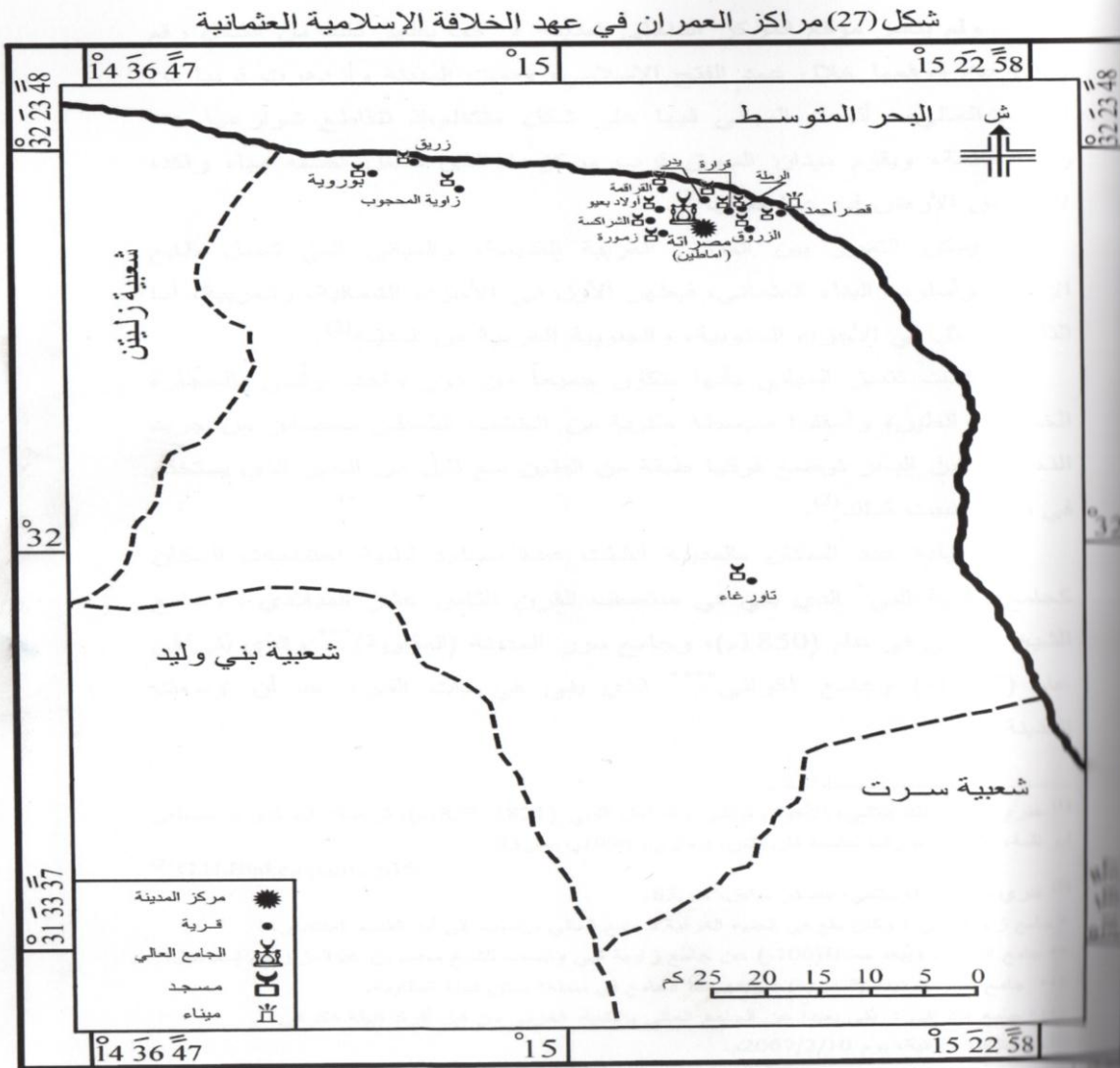
(1) المصدر نفسه، مج2، ص499-500.

الملحق رقم (1)



الطريق التي سلكها العياشي قاصداً الحج والأماكن التي مر بها بليبيا

نقلاً عن علي مفتاح إبراهيم منصور، الرحالة العرب ودورهم في كتابة تاريخ ليبيا السياسي والاقتصادي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، منشورات مركز جهاد الليبي للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م.



1) خريطة مصراة العثمانية، دار المحفوظات التاريخية، سرايا الحمراء، طرابلس، بيانات غير منشورة، زيارة بتاريخ 2006/11/10 .
 2) يوسف التاريخي من الكتابات المختلفة لهذا العهد.

مراكز مصراة في العصر العثماني خلال مرور العياشي بالمدينة

نقلاً عن فاطمة عبداللطيف المنتصر العوامل الطبيعية وأثرها على نشأة مراكز العمران ونموها في شعبية مصراة، كلية الآداب، جامعة مصراة، 2007-2008م، رسالة ماجستير غير منشورة.



زاوية الشيخ زروق

نقلًا عن علي محمد جهان، الحياة الثقافية بمصرارة أثناء الحكم العثماني الثاني 1835-1911م، منشورات مركز جهاد الليبيين، طرابلس، 2007م.

قائمة المصادر والمراجع:

القرآن الكريم برواية قالون

أولاً/ المصادر:

1. ابن خلدون، عبد الرحمن ابن محمد، العبر وديوان المبتدأ والخبر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر، دار الكتاب اللبناني، بيروت، 1959.
2. أبو عبد الله محمد بن خليل ابن غلبون الطرابلسي، التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، عن تصحيحه: الطاهر أحمد الزاوي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2004م.
3. أحمد بابا التتبيكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، ط2، منشورات دار الكاتب، طرابلس، 2000م.
4. أحمد بك النائب الأنصاري، نفحات النسرين والريحان فيمن كان بطرابلس من الأعيان، دار الفرجاني، طرابلس، 1994م.
5. المنهل العذب في تاريخ طرابلس الغرب، ط1، مطبعة الاستقامة، القاهرة، 1961م.
6. حسن الوزان، وصف إفريقيا، ط2، ترجمة: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1983م.
7. عبد السلام بن عثمان الأسمر الفيتوري الطرابلسي، كتاب الإشارات لبعض ما بطرابلس الغرب من المزارات، نقله من الخطوط الطرابلسية: روفائيل راكس، طبع بمطبعة الولاية، طرابلس الغرب، 1931م.
8. عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشي، ط1، تحقيق: سعيد الفاضلي وسليمان الفرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، أبوظبي، 2006م.
9. محمد الطيب القادري، التقاط الدرر ومستفاد المواعظ والعبر من أخبار وأعيان المائة الحادية والثانية عشر، تحقيق: هشام العلوي القاسمي، دار الأفق الجديد، بيروت، 1403هـ/ 1983م.
10. نشر المثاني لأهل القرن الحادي عشر والثاني، تحقيق: محمد حجي وأحمد التوفيق، مكتبة الطالب، الرباط، 1402هـ/ 1982م.
11. محمد بن محمد مخلوف، شجرة النور الزكية في طبقات المالكية، دار الفكر للطباعة والنشر، دم، دب.

ثانياً/ المراجع:

1. الحبيب محم الأمين، تحقيق الدروب إلى زاوية المحجوب، مكتبة منارة المحجوب العلمية، مصراتة، 2006م.
2. خير الدين الزركلي، الأعلام، ط15، دار العلم للملايين، بيروت، 2002.
3. عبد الله كنون، موسوعة مشاهير رجال المغرب، دار الكتب المصرية، القاهرة، دب.
4. علي فهمي خشيم، أحمد زروق والزروقية دراسة حياة وفكر ومذهب وطريق، ط3، دار المدار الإسلامي، بيروت، 2002.
5. علي محمد جهان، الحياة الثقافية بمصراتة أثناء الحكم العثماني الثاني 1835-1911م، منشورات مركز جهاد اللبيين، طرابلس، 2007م.
6. علي مفتاح إبراهيم منصور، الرحالة العرب ودورهم في كتابة تاريخ ليبيا السياسي والاقتصادي في القرنين السابع عشر والثامن عشر، منشورات مركز جهاد اللبيين للدراسات التاريخية، طرابلس، 2005م.
7. محمد حسن المنتصر، تاريخ مسراتة منذ الفتح الإسلامي وحتى نهاية العهد العثماني، ط2، دار الكتب الوطنية، دم، 2013م.
8. محمد مفتاح قريو، تراجم أعيان العلماء من أبناء مصراتة القدماء، ط1، مطبعة النهضة الجديدة، دم، 1970م.
9. مصطفى عبد الرحيم محمد أبو عجيبة، زاوية الإمام أحمد زروق ومضات من تاريخ الفكر والثقافة في ليبيا، دار رباح للطباعة والنشر، مصراتة، 2001م.

ثالثاً/ الرسائل العلمية:

1. فاطمة عبد اللطيف محمد المنتصر، العوامل الطبيعية وأثرها على نشأة مراكز العمران ونموها في شعبية مصراتة، كلية الآداب، جامعة مصراتة، 2007-2008م، رسالة ماجستير غير منشورة.